

غوتفريد ويلهلم ليبنتز

ولد هذا الفيلسوف في أول يوليو سنة ١٦٤٦ في «لينبرغ» أي قبل موت الفيلسوف «ديكارت» بأربع سنوات، ومات أبوه لما كان له من العمر ست سنوات، وكان أستاذ الفلسفة الادبية في جامعة تلك المدينة وكانها، قال عنه «فونتائل» — إنه لم يظهر في حياته ميلا للعلوم والدرس ولما كان أبوه قد ترك له مكتبة محتوية على القليل من الكتب فإنه ابتداءً — بعد أن درس اللاتينية واليونانية — يحفظ الشعر ويطلع على خطب الخطباء مع درسه التاريخ والفقه والفلسفة والرياضيات واللاهوت. إلا أنه كان يشعر بحاجة للمعاونة من الغير، فذهب يفتش على الحكمة في بلدته كيما يساعده على تفهم العلوم وقد اضطر إلى ترك «لينبرغ» لهذا السبب — وفي سنة ١٦٦١ تابع درس مناهج تعليم الجامعة ودرس الفلسفة القديمة على الاستاذ «جاكوب توماسيوس» واطلع على فلسفة أرسطوطاليس وقال عن نفسه — فيما بعد — اني عندما كنت ادرس المبادئ والاولية في العلوم كنت أساءل: مم تتركب هذه العلوم وكيف تتحكم في العقل والفكر، وكنت لاحظ أنها على شيء من الاهمية، قد قرأت فلسفة القرون الوسطى بتمعن حسبما أمرني معلمي، وحفظت ما تركز عليه من الآراء الغريبة التي تظهر عويصة في مبادئ الذاتية من جهة تركيب المعلولات أم من جهة الله. ولكن كنت اشك فيما لقن ولا اقبل من الآراء إلا ما يطمئن اليه فكري ويزيد على هذا بقوله إنه بعد تركه المدرسة الابتدائية اطلع على آراء الفلاسفة الذين عاصروه، ويذكر أنه عندما كان في الخامسة عشر من عمره كان يتنزه وحده بالقرب من «لينبرغ» في غابة صغيرة تدعى «روزنتال»، وكان يقضى الوقت الطويل في تأمل عميق لادراك العلة الاولى الجوهرية. وكانت الميكانيكيات أول ما استرعى انتباهه. ولهذا ابتداءً بدرس الرياضيات العالية وتفهم أسرارها — وقوله هذا يطابق ما ذهب اليه الفيلسوف الفرنسي «أوغست كونت»، في الفلسفة اليقينية من حيث أن المرء ينتبه أولاً إلى الطبيعة من ناحية رياضية صرفة. فظهر السرعة وناموس الأثقال والابعاد وماشا كلها تسترعى الاهتمام بدايةً ومنها يتدرج الانسان الى تفهم بقية العلوم، وفي «ميناء» تابع درس مناهج الرياضى «ارهارد فايجل» ولكنه

لم يتعمق فيه بل اكتفى بالتحليل الابتدائي وعندما كبر قال عن نفسه: «لو أنى كنت «كباسكال» صرفت أيام شباني في «باريس» فلربما كنت وجدت سهولة أكثر في حفظ العلوم - .

في سنة ١٦٧٤ كتب أن «باكون» و«غاسندي» أول من أثرا فيه، فأسلوبهما الاعتيادى الشائع كان يطابق نزعته تمام المطابقة. وقال - مع إنى كنت قد اطلعت على آراء «غاليلي» و«ديكارط»، إلا أنى لم أكن يومذاك مهتداً فلم أهتم بما ذهبوا إليه - وكان ثبت وجود الفراغ والجواهر الفردة التى نعرفها بداهة اليوم، ولكنها كانت فى عصره من أصعب المسائل، وفى سنة ١٦٦٦ أى عندما كان دون العشرين من عمره ألف كتاباً قيماً فى الفنون، ورفض أن يكون واعظاً جافاً متابعاً درسه العميق مفضلاً الابتعاد عن رجال السياسة والعلم، قال «فونتائل» - عندما أحرز «ليبنز» شهادة الدكتوراه فى الحقوق وذهب إلى «نيرمبورج» ليوأجله العلماء علم أن فى تلك المدينة جمعية قومية من الشبان يشتغلون فى الكيمياء يفتشون على حجر الفلاسفة وتدعى بالصليب الوردى نسبة لاسم مؤسسها «Rosenkrantz» سنة ١٦٧٨ فأحب أن يغتم الفرصة ويصير كيميائياً باكتشافه شيئاً من عالم الغيب، فاشترى كتباً فى الكيمياء وبعد تعب شديد كتب تقريراً منهما إلى الرئيس تلك الجمعية يطلب منه أن ينتبه جيداً إلى البراهين التى يقدمها والتي تدل على سعة معارفه، إلا أن هذا عندما تسلم التقرير أرسل فى طلبه، ولما حضر ذهب معه إلى مقابلة وكيل منتخب مقاطعة «منزه» وهذا طلب منه أن يذهب إلى «فرنكفورت» فذهب وهناك تعرف إلى العلماء والأدباء ومن جمعتهم القس «سبتر» الذى كان قد أسس الفرقة المعروفة بالصلاح الكهنوتى «Piétisme» وجذب تعاليهها فيما بعد الفيلسوف «كانت» ونشر فيها كتاباً فى الحقوق أهداه إلى المنتخب، ويبحث فيه فلسفة الحقوق وقواعد الحقوق والمراسلات الحقوقية، فلما اطلع المنتخب على هذا الكتاب دعاه إلى مجلسه وكفّه أن يعاون الأستاذ «الاسر» فى بحثه التشريعى، وفى سنة ١٦٧٠ عينه وكيلاً فى المجلس الأعلى فى دائرته

وقد نشر فى تلك السنة كتاباً قيماً للمصلح الايطالى «ماريوس نيزوليوس» الذى عاش فى القرن السادس عشر عنوانه - ضد البرابرة - بحث فيه عادات البرابرة وافتهم، وفى سنة ١٦٧١ ألف كتاباً سياسياً بحث فيه مسألة اتفاقية السلام العام بين الدول على هذه الشروط:

- ١ — الوحدة الجرمانية
- ٢ — اسوج و بولونيا عند همالا لستجار
- ٣ — انكثرا والنامارك عندها للاستجار
- ٤ — اسبانيا عند همالا لستجار
- ٥ — هولندا
- ٦ — فرنسا
- سييريا
- أميركا الشمالية
- أميركا الجنوبية
- الهند الشرقية
- افريقيا التي تقابل مصر

الا انه قد عدل هذه الشروط — بعد أن دخل لويس الرابع عشر اللورين فقال :
اذا كان ملك فرنسا يحتل الاسنانة ومصر وكل أجزاء السلطنة العثمانية فيكون
قد قضى بأمر الله — على الاباحية المنتشرة فيها — ولما جاء الى « باريس » عام ١٦٧٢
قابل لويس الرابع عشر وبين له عظم الفوائد من احتلاله مصر وقدم له كتاباً كان
قد ألّفه بهذا الخصوص ظهر فيه أنه كان مطلعا تمام الاطلاع على مجرى الاحوال في
مصر، يعرف قوى الجيش فيها وماليتها وطرقها الداخلية ومواقع حصونها وعناصر
أهلها بالنسبة الى المنصر التركي، ومن جملة آرائه أن هولندا يهملها — في الدرجة الاولى —
أن تكون مواصلاتها مع الهند عن طريق مصر، إلا أن كتابه لم يؤثر التأثير المطلوب،
لأن الحرب كانت قد أعلنت بين فرنسا وهولندا

وقد عرف في « باريس » « أرولد » أحد اتباع « ديكارت » و « هويجنس »
الرياضي الهولندي المذاهب الصيت و « تشيرنهوس » الرياضي الالماني وصديق « سينوزا »
وفي ذهابه الى « لوندن » تعرف الى « الانجيز » الذين عاصروه

عندما أتى الى « باريس » لم يكن بارعا في الهندسة، ولكن احتكاكه بعلمائها جعله
يكشف بعد أربع سنوات أسلوب الحساب الذي اكتشفه بذات الوقت
العلامة « نيوتن »، ففي سنة ١٦٨٤ نشر كتاباً تحت عنوان — القواعد الجديدة في
الاكثرية والاقلية — بين فيه طريقة الحساب الذي اكتشفه، وفي سنة ١٦٨٧ نشر
« نيوتن » كتاباً عنوانه — مبادئ الرياضيات للفلسفة العمومية — أوضح فيه نفس
ما أوضحه « لينز »، قال « فونتال »، إن قوة الفكر المتعادلة هي التي دعت الواحد أن يكشف
ما اكتشفه الآخريدون أن يكونا على اتفاق في البحث، إذ أن ما أسماه « نيوتن » « Fluxion » دعا

« لينز » ، Difference ، ، وكانت القاعدة التي قال عنها لينز انها صغيرة لانهاية مطابقة إلى مذهب اليه « نيوتن » ، لهذا مذهب « لينز » العالم عدا انكثرا لانها كانت قد اكتفت برجلها الفذ وعالمها الاوحد

ان مسألة ذاتية الشيء لم تكن ذات أهمية إلا سنة ١٦٩٩ حيث بحثها « فوثير » تلميذ « نيوتن » وفي سنة ١٧١١ أثبتها « كاييل » تحت اسم آخر وبشكل جديد ، فحساب التفاضل الذي قال به « نيوتن » والذي يعد كاساس لهذه المسألة كان قد عرضه « لينز » في الجمعية الملوكية في لندن ، حيث كانت هذه الجمعية حكما لفحص تعاليم الرياضيين القدماء ، وعما إذا كانت تطابق الحساب الجديد ، وقد تبين لها أن « لينز » لم يكن مطالعا على ماذهب اليه « نيوتن » كما يتضح من مراجعة ملف الأوراق المحفوظ فيها منذ سنة ١٧١٢ ، وليس هذا فقط بل أن أسبقية « لينز » في اعلان قاعدة الحساب المختلف لم يشكها أحد من أعظم الرياضيين مثل « أولر » و « لاجرانج » و « لابلاس » و « بواسون » و « بيو » وغيرهم ، وقد كتب في سنة ١٧١٦ أي قبيل وفاته كتاباً تحت عنوان — تاريخ وأصل الحساب المختلف — قال فيه : ان هذه القاعدة لم تعرف في العالم إلا عند ماخطها بيده على أوراقه الخاصة

والذي يطلع على هذه القاعدة يعرف أن عليها تأسست الاعمال الرياضية العالية التي تظهر متعادلة باستخدام الحروف الهجائية كواسطة وهمية. وقد اكتشف عدا هذه القاعدة قاعدة حساب الجسم المحدود بشكل أفقي وتظهر هكذا :

١	١	١	١	١	١
٦	٥	٤	٣	٢	١
٢١	١٥	١٠	٦	٣	١
٥٦	٣٥	٢٠	١٠	٤	١
١٢٦	٧٠	٣٥	١٥	٥	١

أي أن كل عدد في الخط يجمع مع ما يقابل الذي بعده في الخط الاسبق ، وعندما ذهب الى انجلترا سنة ١٦٧٣ وشاهد الرياضي « بل » ، وحده عن رأيه في اختلاف الاعداد ، عرف منه أن هذا الرأي ليس جديداً لأن « مراكثور » كان قد أعلنه منذ مدة

سبقت ذلك التاريخ. فابتدأ بدرس «مركاثور» ولم يكن قد تعرف بعد الى «كولن» و أولند، بورج الذى كان يرأسه مع «نيوتن» من حين لآخر ورجع من انكاثرا إلى فرنسا وحضر مجلس العلامة «هويجنس» ومن ذلك الحين ابتدأ بدرس «ديكارت» وبقية العلماء الذين مزجوا العلوم بالفلسفة وخرجوا على يثهم «تقاليدها» ولهذا كتب فيما بعد: «انى احترم» ديكارت «كل الاحترام لان فلسفته تؤثر فى الفكر تأثيرا عميقا لا يمحي مدى العمر» — وفى ذلك الحين بلغه موت منتخب «منز» ووكيله، فقطعت علاقته بمجلس ادارة المنتخب إلا أن الدوق «جان فريدريك» عينه وكيلا للكتبة العمومية فى «هانوفر» فقبل، وقبل أن يذهب الى محل وظيفته، رجع إلى انجلترا ومكث فيها أسبوعا شاهدا فى اثنائه «كونى» صديق «نيوتن» وذهب من هناك الى هولندا حيث زار «سينوزا» الفيلسوف الكبير وقال عنه — قد حادثته مرارا عديدة فوجدت فيه شخصية خارقة للعادة، أما من جهة المبادئ التى يدين بها أو من جهة العلوم التى يحيط بها فهو فى أكثر آرائه متفق مئى — وقد مات «سينوزا» بعد زيارته له ببضعة أشهر، أى فى ٢١ فبراير سنة ١٦٧٧ وله من العمر ٤٤ عاما.

وبعد أن وصل إلى «هانوفر» كتب عدة كتب فى العلوم والتاريخ، منها ما يختص بأصل سلالة أمراء «برنسويك» الذين عطفوا عليه كل العطف وأكرموا مشواه، وفى سنة ١٦٨٦ نشر كتابه الكبير — قواعد اللاهوت — الذى رمي فيه إلى اتحاد الكاثوليك والبروتستانت، وقد أظهر فيه براعة تستحق الاعجاب إذ أنه تكلم عن كل الفرق والاديان وبين ما يجب على المرء أن يعمل تجاه هذه كلها فرتب صلاة خصوصية نشرها وهذه ترجمتها:

أيها الآله الأحد الكائن فى كل مكان والذى لا يشارك فى ملكه، أنا مخلوقك البائس النجى. اليك وأومن بك، أحبك أكثر من الكل وأرجو مساعدتي، أشكرك على عطايك وأهبك نفسى؛ ساحنى على خطاياى وأعطينى كما تعطى الآخرين ما تسمح به ارادتك وكما استحق من التجارب: آمين.

فلما اطلع «ارنولد» عليها كتب اليه قائلا — ان هذه الصلاة

لا تفيد شيئاً لأنه لا يوجد فيها إسم المسيح ، فأجابه — : ان الصلاة المذكورة في العهد القديم وفي أخبار الرسل وبقية أجزاء الكتاب المقدس — فلم يقتنع « أرنولد » بهذا الجواب ، بل أشاع أن « لينز » ، أراد بها تشويش الأفكار لا غير ، وفي هذه الاثناء حدث أن الدوق « جان فريديريك » اعتنق المذهب الكاثوليكي فأثار باعتناقه هذا المذهب جدالات قوية بين البروتستانت والكاثوليك فما كان من « لينز » إلا أن انزوى في مكتبته وأخذ يطالع المجادلات الدينية التي ثارت بين « لوثر » و « ايراسيموس » وغيرهما ، وبعد أن عرف أخطاء الجميع كتب كتاباً في اللاهوت كانت فاضحة لسخافات الجهتين فإدت نيران الجدال اضطرماً حتى أعلن أن غيبياته ليست سوى رياضيات لا تركز إلا على المغتولات ، وأن الرياضى أسهل عليه كثيراً أن يصير فيلسوفاً من أن يصبح فيلسوفاً رياضياً ، وأن الفلسفة واللاهوت من أصل واحد وقد يتفقان في القصد اذا بحثا بحثاً مدققاً وما ظهر التعاليم السكولاستيكية — القديمة — سوى مظهر ممسوخ من الفلسفة واللاهوت ، فأنه والنفس موجودان ولكن عقول الناس قاصرة عن ادراكهما ادراكاً تاماً ، فالديانة يجب أن تركز على العقل وإلا كانت فاسدة ، وذهب في هذا البحث مذهباً طبع بطابعه فلم يرض الكاثوليك ولا البروتستانت ، وإنما أراضى نزعته وعبر عن آرائه بصراحة تامة وقال : ان البروتستانت ينظرون إلى أخطاء الكاثوليك وحدها والكاثوليك إلى أخطاء البروتستانت كذلك ، وأنا أنظر إلى أخطاء الاثنين وصوابهما وأستنتج منها حقيقة لا تقبل الشك وهي — عند ما يصير البروتستانت كالكاثوليك يصبح الكاثوليك بروتستانت ، لأن التحوير لا بد من أن يلحق أحدهما ، وهذا يسكن النزاع — وقد راسل بهذا الخصوص « بوسيه » في سنة ١٦٨٧ إنمالم يتفق وإياه على رأى من الآراء وبعد موت الدوق « جان فريديريك » جرب اليسوعيون أن يستميلو إلى مذهبهم متخبة « براندبورج » وكانوا يأملون أن « لينز » يعضدهم في تشتيت البروتستانت من ألمانيا الشمالية ، فلم ينجحوا لأنه لم يكن من رأيهم .

وفي السنين الأخيرة التي أمضاها في « هانوفر » — وتبلغ الأربعين — تتبع مجرى الأحوال السياسية في أوروبا ونشر في سنة ١٦٨٤ كتاباً سياسياً قيماً طمأن فيه في لويس الرابع عشر ، وفي سنة ١٧٠١ أعلن برلمان انكلترا أنه بعد موت الملكة

حنة - وكانت أرملة - يصبح التاج البريطاني من حقوق منتخبة «هانوفر» «صوفي» أصغر بنات جاك الأول، وفي حين مخالفتها بعض الشرائع الانكليزية يسقط حقها منه ويصير محصوراً في أولادها وكانت منتخبة «هانوفر» أخت «اليزابت» أميرة بوهيميا المشهورة بتلذذتها على «ديكارت» وصديقة «لينز» ولما كانت ترغب أن يكون أخوها جاك الكاثوليكي ملكاً على الإنكليز أرسلت إلى أختها ترجوها أن يكون «لينز» صديقها الواسطة بينها وبين سياسي إنكليزي. فاهتم «لينز» بالأمير ورأسل رجال السياسة من الإنكليز غير أنه لم يفلح فيما ذهب إليه، وكانت ابنة منتخبة «هانوفر» واسمها «صوفي شارلوت» قد تزوجت في سنة ١٦٨٩ منتخبة بواند بورج «فريدريك الثالث» الذي صار فيما بعد ملكاً على البروسيين ولقب «فريدريك الأول» تعطف كل العطف عليه، لأنها تربت على يده ومالت إلى المبادئ التي يعتقدها، ولما أعلن رأيه في الاختيار منذ الأزل وحرية الإنسان، أرسلت إليه تطلب منه أن يوضح لها بحثه في هاتين النقطتين فأجابها جواباً لم يكن مقنعاً حتى أن ابنها «فريدريك الثاني» لما كان على فراش الموت قال لاحدى نساء البلاط - لا تبكي على إذا مت لأنى أريد أن أتحقق بنفسى ما عجز «لينز» عن إظهاره لى من جهة النقصاء، واللا نهاية والعلة الأولى والثانية.

وكان يأمل أن يؤسس وحدة فكرية جرمانية ترقى اللغة الألمانية وتنتشر العلوم المجردة وتساعد على نمو الصناعة والتجارة وانتشار هذه الفكرة الجمعيات العلمية في أنحاء ألمانيا ومنها جمعية «درسدن» وجمعية «فينا» إلا أنه عدل عن رأيه هذا أخيراً وقال بضرورة تأليف وحدة فكرية أوروبية تعم الشعوب المسيحية كلها.

ومع أن فلسفته لم تبلغ الشأؤ الذى بلغته فلسفته نده «نيوتن» فإنها كانت ذات أثر فعال فى رقى الفكر الأوروبى فى القرن السابع عشر ونستطيع أن نقول إن «لينز» من أولئك الأفراد القلائل الذين تبخل بهم الطبيعة فيظهرون فى فترات مختلفة يقلبون فيها نظام العلوم والفلسفة ويقضون على الأوهام السائدة على العقول